والخراب. ومن البنائين والحراس انتقل الخلاف إلى رؤساء الورش ثمّ إلى العمال البسطاء ـ إلى الذين يحملون الأثقال على أكتافهم وظهورهم ليل نهار فيرتاح غيرهم وهم لا يرتاحون، والذين يخبزون للبنائين والحراس خبزهم ويطهون لهم طعامهم، فيأكل البناؤون والحراس ويشبعون، أمّا هم فيأكلون من فضلاتهم ولا يشبعون. واشتدّ الخلاف واحتدم الجدال بين الكلّ ـ من رئيس البنائين ورئيس الحراس حتى آخر عامل يجبل الطين. واحمرّت الأعين، وتكهربت الأعصاب، وثارت ثورة الألسن، وصُمّت الآذان فما يسمع واحد ما يقوله الآخر، وإن هو سمع فلا يفهم.

لعمري إنّ بلبلة الذين بنوا برج بابل ما كانت غير ثرثرة الطفل إزاء بلبلة نحن فيها اليوم. إنّها بلبلة تكاد تبلغ حدّ الجنون. بل هي الجنون بعينه. ولو أنّ كائناً هبط علينا من المريخ، وسأل المتخاصمين علامَ خصامهم، وفيمَ تشاتمهم وضوضاؤهم، لما لقي جواباً غير ما يلقاه عاقل في بيت المجانين.

إنّ ما تبتغيه أمم الأرض بألسنتها وشفاهها، وما تقتتل في سبيله فتجود بلحومها ودمائها، له نقيض ما تحتاج إليه قلوبها وأرواحها. وماذا تبتغي أمم الأرض بألسنتها